من أساطير الإغريق

غـــرام أورورا

للأستاذ دريني خشبة

رأته على رمال الهلسپنت [1] يرتع ويلعب ، فوقفت تملأ عينيها وقلبها بجماله ، ثم نظرت إليه وهو يداعب البحر المضطرب ، ويتوثب فوق عبابه الزاخر ، فسحرها قوامه ، وفتنها قسماته ، ونسيت أنها ربة الفجر الوردية الهيفاء ، وأن من ذُكران الآلهة من هو أكثر من هذا الشاب تيتون ـ بن پريام ملك طروادة ـ جمالاً وأشد فتنةً وأخلق بحب ربّة جميلةٍ لعوب مفتان ، مثل أورورا ... ولكن ماذا يصنع أهل هذا العالم في قلوبهم ، ولا سلطان لأحدهم على فؤاده ؟ يستوي في ذلك الأرباب وغير الأرباب

لقد كان تيتون يتقلب بين الموج ، فتتقلب نفس أورورا في جحيم من الهوى ، وتتلظى في سعير من الحب ، وتنجذب نحو الفتى الجميل المفتول بكل مافيها من نورانية وقداسة ... وكان يبرز من الماء ليستجم على الشاطئ الناعم الوادع ، فتكاد تجن به ، وتود لو ترشف قطرات الماء التي تنحدر على جسمانه ذي العضل وتتلألأ في ثنايا شعره الأسود الفاحم

وطفقت توسوس لها نفسها المغرمة بالأماني ! وتزخرف لها الأحلام ، فصممت أن تتكشف له ، وتتبرّج على مقربة منه ، وتدل وتميس ، عسى أن تأسر لبه ، وتسبي قلبه ، فيسلس قياده ، وينخذل فؤاده ، دون مشقة أو عناء ... ولكن تيتون أبى ، واستكبر قلبه أن يلين ؛ ولم يستطع ذلك المرح الناصع الذائب في ساقيها ، ولا هذا الورد المتفتح في خديها ، ولا الأبالسة الراقصة في عينيها وفوق نديها ، أن ترقق من عناده ، أو تنتصر على فؤاده ، أو تسكب في نفسه صبابةً أو هوى

— إذن أنت ملتشتهى !

— أشتهى ما ذا أيتها الغادة ؟ إذهبي فاعرضي مفاتنك الرخيصة على غيري !

— ومن أنت حتى تكلم أورورا ربة الفجر هكذا ؟

— أورورا ؟ كيف ؟ مايدريني ؟

— أجل ، أنا أورورا ... انظر

وأخذت ترف في الهواء ، وتسبح في السماء ، وتغوص في الماء ، وتأتي من آيات الإعجاز مايبهر تيتون

— الصفح إذن ياربة ؟!

— لا صفح إلا أن تهب لي حبك ، وتُلقي بين يدي قلبك

— وكيف ، وأنا بشري عاجز ، ولا ألبث أن أفنى بضع سنين ، وهذا أبي الضعيف الشيخ قد خطب لي حسناء من بنات الملوك ؟

— « أما أنك عاجز فلا ؛ وأما أنك لاتلبث أن تفنى بضع سنين فسأهبك الخلود ، وسيخلعه عليك زيوس سيد الأولمب فلا تموت أبداً ، بل تحيا كالآلهة إلى لانهاية الأزل ؛ وأما أبو الضعيف الشيخ فلا أحب إليه من أن يراك في كل ماذكرت ولا سيما إذا علم أنني سأكون لك من دون هذه الفتاة التي خطبها لك ، والتي لاتلبث أن يخط الشيب رأسها ، ويعصر الزمان عودها فتجف ، وتذوى ، وتحملها أنت كأثقل الأعباء إلى القبر ... حيث الدود والذباب ، والكلاب والذئاب ... »

— ولكن ... ألا تأذنين لي في لقاء أبي ؟

— لن يكون هذا أبداً ...

— هذه قسوة ياربة !

— ستفتنك هذه القسوة بعد قليل

(١) مياه الدردنيل

وانطلقت تداعبه وتلاعبه ، وتضاربه وتقالبه ، حتى زالت عنه وحشته ، فأنس إليها ، وأقبل بكل مشاعره عليها ، واتفقا على الرحيل من فورهما إلى أولمب ، فانطلقا يطوبان الرحب

* * *

— من هذا يا بُنيَّة ؟

— ... ؟ ...

— صيد جميل ، ومجازفة جديدة ؛ أليس كذلك ؟

— أجل يا أبي ، وليست مجازفات أبنائك أروع من مجازفاتك

— مجازفاتي أنا ؟ أية مجازفات يا أورورا ؟

— مجازفاتك الغرامية التي لا تحصى مع الغيد الرعابيب ن عبادك

— أي غيد رعابيب يا أورورا ؟ جراءة بالغة !

— لعل الإله الأكبر ، سيد الأولمب ، قد نسي ! على كل ل فسيدة الأولمب حيرا العظيمة لا تنسى ... لقد شهدتك تلهو يو ، وتعبث مع لا تونا ، وتتساقى كؤوس الغرام مع يوروبا .. .. و ...

— أسكتي ... إنك ابنة لا خير فيك ... وماذا تبتغين لهذا اب الغرانق الجميل يا أورورا ؟

— الخلود ... الخلود يا أبي ... ينبغي أن يعيش أبداً ... يموت ... لن يموت ... ألا تراه جميلاً يا أبتاه ؟ ألا تهرك منه منه وقسامته ؟ ألا تنظر إليه كيف هو عبل قوى عبقرى سمهرى؟ لقيته عند شاطيء الهلسپنت ، ورأيته يشق اليم فعلقه قلبي ، يته نفسي ... وكان الموج يلفه في أعرافه ، ثم يسجد تحت ه كأنه يقبلها ، فلما خرج من الماء ، رأيت الدنيا كلها تحف به ، وتغازله وتناغيه ، فلم أر أن يفوز به غيري ، ولا أن يستأثر بجماله سواي ، وقد رضي أن يتبعني إلى أولمب ، فتفضل يا أبتاه وامنحه الخلود ، فالموت لمثل هذا الجمال قسوة هائلة ، وذبول هذا الحسن شيء مخيف جداً ... ينبغي أن يعيش إلى الأبد حبيبي تيتون ... أليس كذلك يا أبي ؟ أليس كذلك ؟ أليس خليقاً بالخلود كالآلهة ؟

وتقدم تيتون فسجد بين يدي سيد الأولمب ، وتفضل رب الأرباب فمنحه الخلود ... وأسفاه ! ألا ليته ما فعل ... ألا ليته ما فعل ؟ !

قال زيوس وهو يحدث نفسه :

« إذهبي يا أورورا ، سأعذبك بهذا الحبيب ، وسأنتقم لكبريائي منك ، وسيكون تيتون عبئاً ثقيلا على قلبك ، وسيعيش إلى الأبد بجانبك كما اشتهيت ، وسأعلمك كيف تستبيحين أن تكلمي أباك كما فعلت ... فوعزتي وجلالي لأعذبنك بألف حبيب وحبيب ! »

* * *

وعاشت أورورا مع حبيبها تيتون أحسن عيش وأجله ، واستمتعا بسنين كانت أشهى من الأحلام ، وأنجبا طفلهما اليافع الجميل ممنون [1] فكان لهما كالقبلة الحلوة فوق ثغر الحياة الباسم

ومرت الأيام ، وأورورا جميلة وردية كما هي ، لأنها ربة ، ولأن قوانين الزمان من قدم وحداثة لا تجوز على الآلهة لأنه لا أول لهم ولا انتهاء ؛ فأورورا جميلة دائماً ، وردية أبداً لا يني قلبها يخفق بالحب وينشده ، ويهيم بالجمال ويفتقده ، ونفسها عاشقة وامقة كذلك ، وإن أماني الغرام تجيش في صدرها دواماً ، فهي إن خلت إلى حبيبها تيتون ألزمته فنوناً من الغزل ، وضروباً من النجوى ، إذا صبر لها الشباب ، واحتملها الصبا ، فليس الشيب بصابر لشيء منها ، ولا محتمل القليل الأقل من تكاليفها ، ولا له جلد على أفانينها

— ما هذه الشعرة البيضاء التي برزت في سواد شعرك كما تبزغ نجمة الفجر في أخريات الليل يا حبيبي ؟

— « أية شعرة بيضاء يا أورورا ؟ ربما كانت نذير المشيب ياحبيبتي !

— « المشيب ؟ ! كلمة غريبة لم أسمعها إلا منك ! ماذا تعني ؟

— آه ! أنتم معشر الآلهة لا تعرفون المشيب ، أما نحن ، معشر البشر ، فسرعان مايذهب صبانا ، ويولى شبابنا ، فنشيخ ونهرم ، وتصبح لنا رؤوس مجللة بشعر أبيض يشبه إبر الشوك ، يقول الشعراء إنه نور قبيح يسعى بين أيدى الكهول ليشق لهم ظلام القبور ! !

— يا للهول ؟ إن هذا الضرب من خيال الشعراء يخيفني !

(١) قتله أخيل في حروب طروادة

— اطمئني ! أنا باق إلى جانبك آخر الدهر . أليس قد وهبني الخلود سيد الأولمب ؟

— بلى ! ولكن ...

— ولكن ماذا ؟

— هذه الشعرة البيضاء التي قال فيها شعراؤكم ما قالوا ؟

— الشعرة البيضاء ؟ مالها هذه الشعرة البيضاء ؟ ليست شيئاً مادام سيد الأولمب قد وهبني الخلود ؛ إن الذي أفزع الشعراء من الشيب هو ما ينذر به من غروب شمس الحياة !

— ولكن الشعرة البيضاء تنذر بأكثر من هذا ؟

— آه ! قد فهمت ما يوسوس في صدرك ؟ ألم أعد جميلا يا أورورا ؟

— بل أنت ما تزال جميلا يا حبيبي .

— إذن لا عليك من هذه الشعرة البيضاء .

* * *

وتمتعا سنوات أخريات ؛ ولكن الشعرة البيضاء أصبحت شعرات وشعرات ، حتى غلب نور الشيب حلك الشباب ؛ ولم تعد لطُرّة تيتون المصفوفة تلك النضارة وهذه اللمعة ، وذلك السحر الذي كان يرف مع النسيم على جبينه المشرق الناصع فيثير الغرام في قلوب العذارى ... بل حال لونها الأسود الفاحم ، ونبت فيها قتاد شائك تنفشه الرياح على جبين متغضن باسر ذي أسارير ، يبعث الرهبة في أفئدة العفاريت !

— تيتون !

— نعم يا حبيبتي !

— لا ! لا ! لا تنادني بهذا النداء .

— ولِمَهْ ؟

— لم يعد يصلح ... لقد اشتعل رأسك شيباً ، وتغضن جبينك ، وترهّل خداك وبرزت عظامهما ، وغارت عيناك جداً وانطفأ فيهما بريق الشباب الغض ، والصبي الغريض . وعضلاتك لقد عصرتها السنون يا تيتون ! ويْ ! مالك تنحني هكذا ؟ هل ضاعت منك درة ثمينة ، فأنت تبحث عنها في أديم الأرض بمكازك هذا الغليظ ؟ آه ! بل ضاع منك شبابك أيها الشيخ الهرم فأنت تبحث عنه في هذا الثرى !

— حسبك يا أورورا ... حسبك يا ربة !

— « لا ، أبداً ، ليس حسبي ، أغرب عني أيها المسخ الشائه ظل في عقر الدار حتى أرتد إليك ! !

وانطلقت ربة الفجر الوردية غاضبة صاخبة ، وذهبت تطوي الفيافي وتهيم في الرحب ، حتى كانت من غير قصد عند شاطيء الهسپنت ، حيث لقيت لأول مرة حبيبها الجميل الشاب تيتون ابن بريام ملك طروادة ، منذ نصف قرن من الزمان ! ! أواه تيتون ! ! يا للذكريات الحلوة التي تطيف بالقلب كما تطيف أطيب الأحلام بعيني نائم ! ! هنا ، على رمال ذلك الشاطيء الهادىء ، وبين طيات ذلك الموج الذي يبدو كأنه لم يتغير ، رأت أورورا الوردية تيتون البارع ، وشعره الأسود الفاحم يتهدل على جبينه الوضاح ، ثم لا يلبث أن يستوي حين تمر عليه أمشاط الأمواج ، وهنا ... ثارت عاصفة الغرام القديم في قلب ربة الفجر الورديا لأول مرة ، وشب لظى الحب ملء جوانحها ... وفوق هذ الرمال السافيات تكشفت أورورا لتيتون الفتى لتخلب لبه وتملك عليه قلبه ، ولكنها ما استطاعت إلى ذلك من سبيل ، حتى تقلبه تحت قدميه ، وتبرجت بين يديه ، فرضي ماعرضت عليه ، وانطلق معها إلى أولمب ! فما لها اليوم غاضبة على تيتون ؟

مشت على شاطيء غرامها الأول فثارت في فؤادها الذكريا وأرسلت عينيها تفتش بين طيات الموج الجياش عن تلك الصو الحبيبة الرائعة ، التي تطفو هناك ... هناك فوق ذاك الثبج جميل ... صورة تيتون وهو يصطرع مع اليم فيصرعه ، ويغا اللجة فينتصر عليها ... ثم جلست على صخرة مشرفة على البح المتلىء بالذكريات ... وطفقت تبكي !

لا ريب أنها عنفت نفسها على ماصنعت أمس مع تيتون ! ماذنبه ما جريرته ؟ بأي حق تنمي عليه شيبته ولا يد له فيها ؟ ولم تخزه بقوارص الكلم لأن جبينه تغضن وامتلأ بأسارير الكبر ؟ ولماذا تعيب عليه عينيه الغائرتين النطفئتين ؟ ولم تذكره بشبابه وتهكم عليه فتقول له إنه يبحث عنه بمكازه في التراب ؟

لا ريب أنها كانت قاسية ، ولا ريب أنها لامت نفسها ، لأن كل تلك الأفكار ترددت في أعماقها ؛ وقد سألت روحها المتألمة ألف سؤال فلم تستطع أن تراها محقة فيما صنعت ...

* * *

وعادت أورورا أدراجها إلى تيتون البائس الهرم فهشت له

وبثت ، وراحت تعلق له ، وتتحايل على قلبها ترجو لو تستطيع أن تخدعه فيسيغ هذه الكومة المتراكمة من القبح والشوه والدمامة ؛ قبعت فى ركن سحيق تحمل أوضار السنين وتنوء بكارثات الليالى

ولبثت تتغفل نفسها بضع سنين ؛ ولكن للآلهة[1] كما للبشر قوة محدودة من الاحتمال ، ومدى غير واسع من الصبر ؛ وقد جاهدت أوروررا نفسها مجاهدة طويلة شاقة ، عادت بعدها إلى التبرم بتيتون ، والضيق بشيخوخته الثقيلة ، والنقمة على تلك اللحظة الأسيفة التى لقيته فيها ، ونوبة الجنون التى جعلتها تتورط دى سيد الأولب فتسأله أن يهب حبيبها نعمة الخلود

— وفيم كل هذا الحزن يا أختاه ؟

— وما العمل للخلاص منه ؟

— أنت المخطئة ، ذلك لا ريب فيه

— مخطئة ! وكيف ؟ هل كنت عامدة أن أقصد إلى لمسينت لأراه ثمة ؟

— أبداً وليس هذا ما عنيت

— إذن كيف كنت مخطئة ؟

لأنك سألت سيد الأولب أن يهب حبيبك الخلود ، ونسيت تسأليه أن يديم له شبابه ، ويحفظ عليه صباه . إذن كنت ت بجماله الفتان أبد الحياة !! أليس كذلك يا أوروررا ؟

— بلى ، هو ذاك ولكن ... لقد سبق السيف العذل !

— على كل حال هنالك من هو أجمل من تيتون فلا تبتئسى

— أجمل من تيتون ؟ وكيف الخلاص من تيتون قبل شىء ؟

— « لا أيسر من ذلك ، إسحريه !

— أسحره ؟ ! آه ، أسحره ؟ فكرة يا أختاه ! ولكن من هو هذا الشاب الوسيم الذى عنيت أنه أجمل من تيتون ؟

— وَىْ ! لا بد من صيد آخر قبل أن تطلق سراح الصيد القديم ؟!

— لا بد يا أختاه لا بد ؟

— إذن فاذهبى إلى جبل هيمتوس حيث يرعى سيفالوس الجميل قطعانه !

— « ثم ... ؟

— ثم عودى فاسحرى تيتون واخلعى منه !

— وماذا ترين أن أسحره إليه ؟

— إنه عجوز هرم يدب على عكاز ... ألا تسحرينه (نطاطا[1]) ؟

— بلى ! فكرة أخرى نابغة يا أختاه !

* * *

ولقيت أوروررا حبيبها الجديد سيفالوس الراعى فهويته وشغفته حبا ؛ أما تيتون فياويحه ، وياويح للعشاق من قلوب العذارى ! إنه مازال إلى اليوم يثب مع آلاف الجنادب فى الحقول والنيطان[2] بعد إذ سحرته أوروررا

دمنهور

(١) لنذكر القارئ أن القصة من أساطير اليونان

(١) بالعربية (جندب)

(٢) السهل المطمئن الواسع من الأرض

لجنة التأليف والترجمة والنشر

إحياء أثر أدبى نفيس

وفق الأساتذة خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الاسلام الهندى فى الحصول على مخطوط قيم نادر بمكتبة الفاتح بالاستانة فاشتغلوا بتحقيقه وضبطه والتعليق عليه وعمل فهارس مستوفاة له ثم طبعوه على نفقة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) طبعة علمية متقنة فى شكل أنيق مع مقدمة تحليلية ممتعة للأستاذ الجليل أحمد أمين . والكتاب فى الدفاع عن شاعر من فحول الشعراء كثرت فيه الآراء واختلف النقاد فى مذهبه وتقدير شعره . ومؤلفه أديب ممتاز ثقة فيما يرويه ذلك الكتاب هو : أخبار أبى تمام لأبى بكر الصولى وهو مطبوع على ورق جيد ويقع فى ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير وثمنه ١٨ قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة ومن المكاتب الشهيرة